

تفسير البحر المحيط

@ 602 % (لعمري لقوم قد نرى أمس فيهم % .

مرابط للأمهار والعكر الدثر .

%) .

قال الزمخشري : قد نرى : ربما نرى ، ومعناه : كثرة الرؤية ، كقوله : .

قد أترك القرن مصفراً أنامله .

انتهى . وشرحه هذا على التحقيق متضاداً ، لأنه شرح قد نرى ربما نرى . ورب ، على مذهب

المحققين من النحويين ، إنما تكون لتقليل الشيء في نفسه ، أو لتقليل نظيره . ثم قال :

ومعناه كثرة الرؤية ، فهو مضادٌ لمدلول رب على مذهب الجمهور . ثم هذا المعنى الذي

ادّعاه ، وهو كثرة الرؤية ، لا يدل عليه اللفظ ، لأنه لم يوضع لمعنى الكثرة . هذا

التركيب ، أعني تركيب قد مع المضارع المراد منه الماضي ، ولا غير الماضي ، وإنما فهمت

الكثرة من متعلق الرؤية ، وهو القلب ، لأن من رفع بصره إلى السماء مرة واحدة ، لا يقال

فيه : قلب بصره في السماء ، وإنما يقال : قلب إذا ردّد . فالتكثير ، إنما فهم من

القلب الذي هو مطاوع القلب ، نحو : قطعه فتقطع ، وكسرت فتكسر ، وما طواع التكثير

فيه التكثير . والوجه هنا قيل : أريد به مدلول ظاهره . قال قتادة والسدّي وغيرهما :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقلب وجهه في الدعاء إلى الله تعالى أن يحوله إلى قبله

مكة . وقيل : كان يقلب وجهه ليؤذن له في الدعاء . وقال الزمخشري : كان يتوقع من ربه أن

يحوله إلى الكعبة ، لأنها قبله أبيه إبراهيم ، وأدعى للعرب إلى الإيمان ، لأنها مفخرهم

ومزارهم ومطافهم ، ولمخالفة اليهود ، فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام والوحي

بالتحويل . انتهى كلامه ، وهو كلام الناس قبله . فالأول : قول ابن عباس ، وهو ليصيب قبله

إبراهيم . والثاني : قول السدّي والربيع ، وهو ليتألف العرب لمحبتها في الكعبة .

والثالث : قول مجاهد ، وهو قول اليهود : ما علم محمد دينه حتى اتبعنا ، فأراد مخالفتهم

. وقيل : كنى بالوجه عن البصر ، لأنه أشرف ، وهو المستعمل في طلب الرغائب . تقول : بذلت

وجهي في كذا ، وفعلت لوجه فلان . وقال : .

رجعت بما أبغي ووجهي بمائه .

وهو من الكناية بالكل عن الجزء ، ولا يحسن أن يقال : إنه على حذف مضاف ، ويكون

التقدير بصر وجهك ، لأن هذا لا يكاد يستعمل ، إنما يقال : بصرك وعينك وأنفك ؛ لا يكاد

يقال : أنف وجهك ، ولا خد وجهك . في السماء : متعلق بالمصدر ، وهو قلب ، وهو يتعدى بفي

، فهي على ظاهرها . قال تعالى : { لَا يَغُورُ زَكَتُكَ تَقَلُّبُ السَّادِّينَ كَفَرُوا } في
الْجِبَالِ { ، أي في نواحي السماء ، في هذه الجهة ، وفي هذه الجهة . وقيل : في بمعنى
إلى . وقيل : في السماء متعلق بترى ، وفي : بمعنى من ، أي قد نرى من السماء تقلب وجهك
، وإن كان لا تعالى يرى من كل مكان ، ولا تحيز رؤيته بمكان دون مكان . وذكرت الرؤية من
السماء لإعظام تقلب وجهه ، لأن السماء مختصة بتعظيم ما أضيف إليها ، ويكون كما جاء : بأن
لا يسمع من فوق سبعة أرقعة ، والظاهر الأول ، وهو تعلق المجرور بالمصدر ، وأن في على
حقيقتها . واختص التقلب بالسماء ، لأن السماء جهة تعود منها الرحمة ، كالمطر والأنوار
والوحي ، فهم يجعلون رغبتهم حيث توالى النعم ، ولأن السماء قبلة الدعاء ، ولأنه كان
ينتظر جبريل ، وكان ينزل من السما .